

الدعوة إلى

الفرد  
والإلم

Copyrighted Material  
Ophir Printers & Publishers

Originally published in English under the Title: "**The Call to Joy & Pain**".  
Copyright © 2007 by Ajith Fernando. Published by Crossway Books a publishing  
ministry of Good News Publishers Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.

Arabic Edition © 2010 by Ophir Printers & Publishers - Jongbloed bv. Middle East.  
Published by arrangement with Good News Publishers.  
All rights reserved.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval  
system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photo-  
copy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without  
prior permission of the publisher.

## الدَّعْوَةُ إِلَى الفرح والألم

الطبعة العربية الأولى ٢٠١٠  
حقوق الطبع محفوظة

### أوفير للطباعة والنشر

ص.ب. ٣٠٦٢، عمّان ١١١٨١، الأردن  
هاتف: +٩٦٢ ٦ ٥٦٦٥ ٧٦٨  
فاكس: +٩٦٢ ٦ ٥٦٣٩ ٧٦٨

Email: [info@ophir.com.jo](mailto:info@ophir.com.jo)  
[www.ophir.com.jo](http://www.ophir.com.jo)

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١١/٤٢٥٢

ISBN 978-90-5950-1232

Copyrighted Material

Ophir Printers & Publishers

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق  
استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

إلى

دورين وراسينها

سوقنت ومانيل وراسينها

زوي ودبلکش پيريرا

وإلى ذكري

رونالد وراسينها

فبسبب هؤلاء، صارت كلمة "أنسياء" قِصْدَرِ فَرِحِ  
عظيم لي لأنها تُذَكِّرُنِي ببعض أفضل بَرَكَاتِ اللَّهِ!

**Copyrighted Material**  
**Ophir Printers & Publishers**

# المحتويات

١١

مُقدِّمة

القسم الأوَّل

## الألَمُّ والفرحُ عُنصران أساسيان في الحياة المسيحيَّة

- ١٧ . ١ . سَمَتان أساسيتان للحياة المسيحيَّة
- ٢٣ . ٢ . كَنْزٌ مَنْسِيٌّ
- ٣١ . ٣ . نَوْبَاتُ ابْتِهَاجٍ
- ٣٧ . ٤ . الرُّثَاءُ
- ٤٣ . ٥ . الإِيْمَانُ وَالصَّبْرُ
- ٥١ . ٦ . التَّسْلِيمُ
- ٥٧ . ٧ . لا تَلذُّذْ في الأَلَمِ
- ٦١ . ٨ . بُقْعَةٌ لاهوتيةٌ عمياء؟

القسم الثاني

## الألَمُّ يَقْرِبُنَا مِنَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ

- ٦٩ . ٩ . شَرِكَةُ الأَلَامِ
- ٧٥ . ١٠ . التَّشْبَهُ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ
- ٨١ . ١١ . تَنْقِيَةُ الدَّوَاعِ

Copyrighted Material  
Ophir Printers & Publishers

- ٨٥ .١٢ الحزبي والكرامة  
٩١ .١٣ اتحاد المؤمن والسيد المسيح

### القسم الثالث

### آلامنا تُساعد الكنيسة

- ٩٩ .١٤ الألم ونمو الكنيسة  
١٠٥ .١٥ إعلان بشاره الإنجيل  
١١١ .١٦ مع الناس في خندق واحد  
١١٩ .١٧ كيف نعمق تأثيرنا  
١٢٥ .١٨ الألم والمصادفة  
١٣١ .١٩ الالتزام يولد التزاماً  
١٣٧ .٢٠ تجنّب الالتزام وتفادي الألم  
١٤٣ .٢١ الالتزام والحياة المُفعمّة بالفرح

### القسم الرابع

### خدّام الكنيسة

- ١٥١ .٢٢ خدّام ووكلاء  
١٥٩ .٢٣ الخدمة المُضحّية تنبع من النعمة  
١٦٧ .٢٤ نحن أغنياء!  
١٧٣ .٢٥ رجاء المجد  
١٧٩ .٢٦ يسوع: رسالتنا

- ١٨٥ .٢٧ . التَّلامِيذُ يُصَنَعُونَ وَلَا يُوَلَّدُونَ
- ١٩٣ .٢٨ . التَّعَبُ فِي إِعْدَادِ التَّلامِيذِ
- ٢٠١ .٢٩ . هُوَ يَعْطِي الْقُوَّةَ

### تأمل ختامي

- ٢٠٩ .٣٠ . إِحْدَى مُفَارَقَاتِ الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ
- ٢١٥ . الملاحظات

Copyrighted Material  
Ophir Printers & Publishers

## مُقدِّمة

الآن أفرخ في آلامي لأجلكم، وأكمل نقائص شذائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة، التي صرت أنا خادمًا لها، حسب تدبير الله المخلصي لي لأجلكم، لتتِمِّم كلمة الله السرِّ المكتوم منذ الدهور و منذ الأجيال، لكنه الآن قد أظهر لِقديسيه، الذين أراد الله أن يُعرفهم ما هو غنى مجد هذا السرِّ في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد. الذي تنادي به مُنذرين كلَّ إنسان، ومُعلِّمين كلَّ إنسان، بكلِّ حكمة، لكي نُحضر كلَّ إنسان كاملًا في المسيح يسوع. الأمر الذي لأجله أتعب أيضًا مجاهدًا، بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.

(كولوسسي ا: ٢٤-٢٩)

غالبًا ما يتحدَّث الكتاب المقدَّس بشأن الألم على أنه جزء لا يتجزأ من الحياة المسيحية. لذلك، من البديهي أن ترد فكرة الألم مرارًا وتكرارًا في التفكير المسيحي وأحاديث المسيحيين. لكن مع ما أفرزه القرن الحادي والعشرون من رفاهية وتقدم تكنولوجي، صار الكثيرون ينظرون إلى الراحة والتنعيم وكأنهما حقيقتين أساسيتين من حقوقهم كبشر. وهكذا، فقد عدت الرسالة التي ينقلها إلينا الكتاب المقدَّس عن حتمية الصليب متعارضة ثقافيًا مع طريقة تفكير الكثيرين في وقتنا الحاضر. لهذا، فإن الحاجة إلى مزيد من التأمل في هذا الموضوع هي حاجة ماسة لأن بعض مُعلِّمي الكتاب المقدَّس المعروفين يقولون إن الله لا يريد لأولاده أن يختبروا الألم. كما أن البعض يقول إنه حيث إن السيد المسيح حمل اللعنة عنا، فلا مبرر لأن نحمل هذا الجزء من اللعنة - أي الألم - بعد أن مات السيد

المسيح. وهذا- بدوره- يعني أنه إن كُنَّا نُعاني ونتألم نحن المؤمنين، فلا بُدَّ من وجود خَطْبٍ عَظِيمٍ (أو خَطِيئَةٍ) في حياتنا!

لقد تَطَرَّقْتُ إلى موضوع الألم في غالبية كُتُوبِي. لكنِّي شَعَرْتُ- وهذا ما أَكَّدَهُ الكثيرُ من أصدقائي- بأنه ينبغي لي أن أُخَصِّصَ كتابًا كاملاً للحديث بهذا الموضوع. وكم شَعَرْتُ بالامتنان للفرصة التي أُتِيحت لي لتخصيص بعض الوقت والاهتمام لهذا الأمر عَقِبَ دَعْوَةِ تَلَقِّيْتَهَا مِنْ "جون بايبر" (John Piper) لإلقاء بعض العظات في مؤتمر بَيْتِ حَمِّ لِرُعاة الكنائس والذي عُقد في الفترة من يناير/كانون الثاني إلى فبراير/شباط عام ٢٠٠٦ حول "كيف يجب على راعي الكنيسة أن يموت؟" وعندما عَلِمَ الدكتور "لاين دَنيس" (Lane Dennis) و"أل فيشر" (Al Fisher) من دار "كروس واي" (Crossway) للنشر بأنِّي سأقدِّم هذه العظات، اقترح عليَّ أن أُعيدَ صياغتها على شكل كتاب. وكما هي الحال دائمًا، فإنه لَفَرَحٍ عَظِيمٍ أن أعملَ مع فريق العاملين في دار "كروس واي"، وأن أستفيدَ مَرَّةً أُخْرَى من خبرة "تيد غريفين" (Ted Griffin) الواسعة في التحرير.

ومنذ انعقاد مؤتمر بَيْتِ حَمِّ لِرُعاة الكنائس، أُتِيحت لي فُرْصَةٌ للتكلم بموضوع هذا الكتاب في أماكن عديدة. وكانت أكثر تجربةٍ مُؤَثِّرةً بالنسبة إليَّ هي تعليم مجموعة من الوُعَاظ في كمبوديا في إطار برنامجٍ للخدمة يُعْرَفُ بِاسْمِ "تيموثز أول" (Timothy's All). كان الكثيرُ من هؤلاء المعلمين قد عانوا في أثناء سنوات الإيادة الجماعية التي أُطلقَ عليها لاحقًا اسم "حُقول القتل" في ظلِّ نظامِ حُكْمِ "الخَمير الحُمْر" (Khmer Rouge) بقيادة بول بوت (Pol Pot). ويبدو أن مادَّةَ عِظاتي ساعدتهم في تحليل التجربة التي مرُّوا بها من وجهة نظر الكتاب المقدَّس. كانت أوقاتُ النقاش في تلك المناسبة مُكثِّفةً جدًّا حتى إننا اضطررنا إلى تغيير جَدول المحاضرات. وقد تنازل أحدُ المتكلمين- مَشْكورًا- عن مُحاضرتِهِ لكي يُفسِّحَ لنا المجال لاستكمال النقاش. والغريب في الأمر هو أنه حتَّى في كمبوديا، فإنَّ التَّعليمَ بأنَّ المؤمنين يجب ألاَّ يعانونو بتاتًا كان تعليمًا شائعًا وواسع الانتشار!

كان أحد القرارات الأولى التي اتَّخَذْتُهَا في أثناء تحضيرِي لمؤتمر بَيْتِ لَحْمٍ هو أنْ أَنهَجَ نَهَجَ الكِتَابِ المقدَّسِ في عدم التحدُّثِ بشأنِ الأَلَمِ دون التحدُّثِ- في الوقت نفسه- بشأنِ البَرَكَاتِ المصاحِبَةِ لَهُ. فالفرحُ هو بَرَكََةٌ من البَرَكَاتِ المصاحِبَةِ للأَلَمِ عَادَةً في العهد الجديد. والمقطعُ الكتابيُّ الذي اتَّخَذْتُهُ قَاعِدَةً للانطلاق- وأعني كولوسي ١: ٢٤-٢٩- يذُكِرُ الأَلَمَ والفرحَ معًا. وهكذا، فقد عَقَدْتُ العَزَمَ على دراسةِ الفرحِ والأَلَمِ. وسنُبَيِّنُ في هذا الكتابِ أَنَّ الخَطَأَ والخطَرَ لا يَكْمُنَانِ في تَعَرُّضِ المُؤْمِنِينَ للأَلَمِ، بل في عدمِ اختِبَارِهِم لِفِرْحِ الرَّبِّ.

إِنَّ الكِتَابَ المقدَّسَ بَرِيءٌ مِمَّا يَدَّعِيهِ البعضُ بَأَنَّ الأَلَمَ هو النتيجةُ الحَتَمِيَّةُ الوَحِيدَةُ لِحَمْلِ الصَّليبِ. فالموقفُ السَّائِدُ في الكِتَابِ المقدَّسِ في ما يتعلَّقُ بالأَلَمِ والمعاناةُ في حياةِ المُؤْمِنِ هو موقفٌ إيجابيٌّ. وحتَّى في سِفْرِ الرُّؤْيَا، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الاضطهادِ والاستشهادِ تَقْتَرِنُ دَوْمًا بِفِكْرَةِ أَنَّ الأَمْنَاءَ سَيُكافَأُونَ في السَّمَاءِ، فيما سَيُؤَدُّونَ الأَشْرَارَ.

إِنَّ ما أَرْجوه من أعماقِ قلبي هو أنْ يَكُونَ هذا الكِتَابُ مُعِينًا للمُؤْمِنِينَ على النَّظَرِ إلى الأَلَمِ كشيءٍ يَنْبَغِي تَقْبُلُهُ، بل ربَّمَا مُعَانَقَتُهُ؛ لِأَنَّ الرَّبَّ الإلهَ شَاءَ أَنْ يُجِيزَهُمْ في هذه الألامِ. وهذا لا يَعْنِي بِنَاتًا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَجَلِبَ الأَلَمَ على أَنْفُسِنَا؛ لَكِنْ عِنْدَمَا يَأْتِي الأَلَمُ، يَجِبُ أَنْ نَكُونَ قَادِرِينَ على النَّظَرِ إليه بِعَيْنِ الإِيمَانِ. فَمِنْ دُونِ هَذِهِ النِّظَرَةِ إلى الأَلَمِ، لَنْ نَتِمَكَّنَ يَوْمًا مِنْ اخْتِبَارِ الفِرْحِ الَّذِي يَصِفُهُ الكِتَابُ المقدَّسُ بِأَنَّهُ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الحَيَاةِ المَسِيحِيَّةِ. وَقَدْ أَصَابَ المُرْسَلُ الأَمْرِيكِيُّ إلى الهِنْدِ ”إي. ستانلي جونز“ (E. Stanley Jones) حِينَ وَصَفَ هَذَا المَوْقِفَ بِقَوْلِهِ: ”لَا تَضِعْ وَقْتَكَ وَطاقَتَكَ باطلاً في احتمالِ المُشْكَلَةِ، بل في اسْتِغْلَالِهَا خَيْرَ اسْتِغْلَالٍ. انظُرْ إلى كُلِّ ما يَحْدُثُ- سِوَاءِ أَنْصَافِ ما كَانَ الأَمْرُ أَمْ إِجْحَافًا، مَصْدَرِ سُرُورٍ أَمْ أَلَمًا، إِطْرَاءٍ أَمْ انْتِقَادًا- على أَنَّهُ أَدَاةٌ تُسَاعِدُكَ في تَحْقِيقِ قَصْدِ اللَّهِ لِحَيَاتِكَ. لَذا، أَحْسِنِ اسْتِخْدَامَهُ وَحوِّلْهُ إلى شَهَادَةٍ“<sup>١</sup>.

وفي وقتنا الحاضر، من الواضح أنَّ الكنيسةَ تُرَكِّزُ كَثِيرًا على مُعَالَجَةِ الأَلَمِ؛

لكنّها لا تُركِّزُ بالقَدَرِ الكافي على لاهوت الأَلَمِ الذي ينبغي أن يكونَ الأساسَ الذي يقوم عليه كُلُّ علاجٍ للأَلَمِ. فمن دون لاهوتٍ سليمٍ عن الأَلَمِ، سيميلُ المؤمنون إلى تَجَنُّبِ الصَّلِيبِ والابتعاد عن دَعوتِهِمْ. كما أَنَّهُمْ سَيَشْعُرُونَ بالتَّعَاسَةِ- دُونَ مُبَرَّرٍ- حين يواجهون الأَلَمِ. غيرَ أَنِّي على يَقِينٍ بأنَّ هذا الكتابَ سَيُساعدُ المؤمنين على النظر إلى المعاناة نَظْرَةً كِتَابِيَّةً سَلِيمَةً مِمَّا سَيُعِينُهُمْ على أن يكونوا مُؤْمِنِينَ فَرِحِينَ ومُطِيعِينَ للربِّ. ورُغمَ أنَّ الكتابَ لا يتناول جميع القضايا المُتعلِّقة بـ لاهوت الأَلَمِ والمعاناة- ولا سببَ وجودِ الأَلَمِ في العالم<sup>٢</sup>- فإنه يُحاولُ أن يُقدِّمَ لاهوتًا مَسِيحِيًّا عَمَلِيًّا للأَلَمِ. وقد عَرَضْتُ مادَّةَ الكتابِ في ثلاثين فَصَلًا قَصِيرًا لكي يَتِمَكَّنَ القارئُ من استخدامها كِتَابَاتٍ كِتَابِيَّةً على مَدَى شَهْرٍ بأكمله.

وبمناسبة الذِّكْرِى الثلاثين لزواجنا، أودُّ أن أُعبِّرَ عن عَظِيمِ امْتِنَانِي لله لأجل زوجتي "نيلون" (Nelun). فقد أعانها حُبُّها لله على احتمالِ كُلِّ الآلامِ المُتَرَتِّبَةِ عن زواجها من خادمِ للربِّ لديه دَعْوَةٌ تَجْعَلُ حَيَاتِهَا شاقَّةً. كما أَنِّي أَشْكُرُ اللهَ عليها لأنَّها احتَمَلَتِ الكثيرَ من ضَعْفِي الذي كثيرًا ما كان يتطلَّبُ قَدْرًا هائلًا من الصَّبْرِ وطولِ الأناة. وأخيرًا، فإني أَشْكُرُها على قِراءتها لمُسَوِّدَةِ هذا الكتابِ، وعلى إبدائها للعديد من الاقتراحاتِ القِيَّمة.

Copyrighted Material  
Ophir Printers & Publishers

القسم الأوّل

الألّم والفرخُ عُنصرانُ أساسيّان  
في الحياة المسيحيّة

”الآن أفرخُ في الآمي لأجلكم“.

كولوسّي ا: ٢٤

Copyrighted Material  
Ophir Printers & Publishers

## الفصل الأوّل

# سِمَتان أساسيتان لحياة المسيحية

بعد موت زوجته، أَلَفَ ”بول تورنييه“ (Paul Tournier)، الذي يُعَدُّ مُؤَسِّسَ المشورة المسيحية المعاصرة، كتاباً بعنوان ”المعاناة الخلاقية“ (Creative Suffering) يبيّن فيه أنّ الألمَ يمكنُ أن يكونَ دافعاً لمزيدٍ من الخلق والإبداع. وهو يتحدّث في هذا الكتاب بشأن الحزن الذي اختبره عند موت أبيه وهو في سنّ الثانية، وحزنه لموت أمّه وهو في سنّ الخامسة، وحزنه أيضاً على فراق زوجته. وهو يقول: ”القلب البشري لا يخضع لمبادئ علم المنطق. فالأمر في جوهره ينطوي على تناقض عجيب. ففي حين أنّه يمكنني أن أقول بصدقٍ إنّي رجلٌ حزينٌ جداً، يمكنني أن أقول أيضاً إنّي سعيد!“<sup>١</sup>

إنّ هذه الكلمات التي خطّها ”تورنييه“ تَضَعُ نُصَبَ أعيننا المقدّمة المنطقية الرئيسية لهذا الكتاب. فالألم والفرح سِمَتان أساسيتان للحياة المسيحية.

ونلاحظ أن كلمات الرسول بولس التي اقتبسناها في بداية هذا القسم، والتي سنستخدمها كأساس لهذا الكتاب (كولوسي ١: ٢٤) تؤكد المبدأ نفسه حيث يقول بولس: "الآن أفرح في آلامي لأجلكم".

## الدعوة إلى الفرح

لقد أكد المفكرون المسيحيون العظماء، من أمثال "سي. أس. لويس" (C. S. Lewis) و"جون بايبر"، بأن الفرح ربما يكون الصفة الرئيسية التي تميز المؤمن. وقد لا يدرك الكثيرون منا أن العهد القديم يتحدث كثيراً بشأن الفرح. فهناك ثلاث وعشرون كلمة مختلفة في اللغة العبرية تعبر عن الفرح في العهد القديم. وقد قرأت في أحد الكتب أن اللغة العبرية تحتوي على أكبر عدد من المفردات التي تصف الفرح. ففي آيتين فقط من سفر صفيانيا (٣: ١٤ و ١٧)، نجد سبع كلمات مختلفة تعبر عن الفرح (في النص العبري)!

يحتوي العهد القديم على العديد من الآيات التي تدعو الناس إلى الفرح وتوصيهم بذلك. وقد استخدمت فهرس الكتاب المقدس الإلكتروني باللغة الإنكليزية لتتبع استخدام كلمة "أفرحوا" (rejoice) في العهد القديم فعثرت على واحد وثمانين شاهداً كتابياً. وقد تصدر سفر المزامير القائمة بواحد وثلاثين شاهداً، ثم تلاه سفر إشعياء بثلاثة عشر شاهداً، ثم سفر التثنية بعشرة شواهد. كما أن العبادة في العهد القديم اشتملت على آلات موسيقية تصلح - بصورة خاصة - للتعبير عن الفرح، مثل الصنوج. ولا يفوتنا أن نذكر تشجيع المؤمنين على التصفيق بالأيدي للتعبير عن فرحهم وابتهاجمهم (الزمور ٤٧: ١). ويذكر سفر المزامير هُناك الفرح اثنتي عشرة مرة، والترنم سبعاً وثمانين مرة. وكما نعلم جميعنا فإن الترنم هو تعبير عن الفرح في أغلب الأحيان. لهذا، فإن كلمتي "ترنم" و"فرح" تردان معاً ثلاث عشرة مرة في سفر المزامير. وهناك أيضاً الأعياد المتعاقبة في التقويم اليهودي. وفي العادة، فإن الأعياد هي مناسبات مخصصة للتعبير عن

الفرح. في ضوء هذا كله، من الواضح أن الفرح والتعبير عنه يحتلان مكانة مهمة في العهد القديم.

والأمر نفسه ينطبق على العهد الجديد أيضاً. فقد قال الملاك للرعاة إنه جاء ليُبشِّرهم بولادة يسوع، وإن هذه البُشرى ستكون مَصْدَرٌ ”فرح عظيم... لجميع الشعب“ (لوقا ٢: ١٠). ثم نقرأ أن الرعاة رجعوا ”وهم يمجِّدون الله ويسبِّحونه على كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ“ (لوقا ٢: ٢٠). كذلك، فقد استخدم البشير متى أسلوباً توكيدياً لوصف رد فعل المَجُوس لدى رؤيتهم للنجم الذي أشار إلى مكان ولادة الطفل يسوع فقال: ”فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرِحًا عَظِيمًا جَدًّا“ (متى ٢: ١٠).

وحيث إن اختبار الخلاص يزداد وضوحاً حال انتقالنا من العهد القديم إلى العهد الجديد، فمن الجلي تماماً أن فرح الخلاص يتبوأ مكانة بارزة في الكتاب المقدس. ويمكننا أن نرى ذلك في الأمثال الثلاثة التي ضربها يسوع عن الخلاص في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا. فقد رافق العثور على الخروف الضائع، والدرهم المفقود، والابن الضال فرح عظيم وأجواء احتفالية (لوقا ١٥: ٦-٧، ٩-١٠، ٢٠-٢٤). ومن وجهة نظري الشخصية، فإن وصف الأب الثري العجوز وهو يرتدي عباءة طويلة ويفعل شيئاً غير متوقع بتاتا من شخص مثله في ذلك الزمان- حين ركض أمام الناس وعانق ابنه العائد وقبله بحرارة- هو من أكثر المقاطع المؤثرة في الكتاب المقدس بأكمله. لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد. فقد جمع الأب الأهل والأصدقاء حيث احتفلوا معاً بالعزف والرقص.

كذلك، كان أعضاء الكنيسة الأولى في أورشليم يجتمعون معاً في بيوتهم ويتناولون الطعام ”بابتهاج وبساسة قلب“ (أعمال الرسل ٢: ٤٦). وحين خلص أهل إحدى مدن السامرة ”كان فرح عظيم في تلك المدينة“ (أعمال ٨: ٨). وفي وقت لاحق، نرى الرسول بولس يأتي على ذكر الفرح بعد المحبة في قائمة ثمر الروح القدس (غلاطية ٥: ٢٢). وعندما كتب الرسول بولس من غياهب السجن في فيلبّي، أوصى المؤمنين لا أن يفرحوا فحسب، بل أن يفرحوا فرحاً مضاعفاً:

”أفرحوا في الربِّ كُلِّ حين، وأقولُ أيضًا: أفرحوا“ (فيلبي ٤: ٤). وبعد أن بيَّن الرسول بولس موقفه من الخلاف الذي نشأ بين المؤمنين بشأن الأكل ممَّا ذُبح للأوثان، فقد نبرَّ على جانب يفوق ذلك أهميَّة فقال: ”لأنَّ ليس ملكوتُ الله أكلاً وشرباً، بل هو برٌّ وسلامٌ وفرحٌ في الروح القدس“ (رومية ١٤: ١٧).

إنَّ الخلاصَ هو نعمةٌ رائعةٌ إلى أقصى الحدود حتى إنه بإمكاننا دومًا أن نجد سببًا للفرح رغم كلِّ الآلام والضيقات التي قد تمرُّ بها. ومن الأمثلة الحيَّة على ذلك عاملُ مناجمِ اسمه ”بيلي براي“ (Billy Bray) وعاش في الفترة ما بين (١٧٩٤-١٨٦٨)، وهو من مدينة كورنول (Cornwall) في إنكلترا. كان بيلي سكيرًا وفاسدًا أخلاقيًا قبل أن يصيرَ واحدًا من أعظم وعَظ الكنييسة الميثودية في القرن التاسع عشر. فهو لم يتمكَّن يوماً من إخفاء فرحه النَّاشئ عن معرفته بأنَّ الله قد خلَّصه وجعله ”ابن ملك الملوك وربِّ الأرباب“. لهذا، فقد كانت حياته تتمحور حول شيء واحد لا يعرف السُّكون وهو تسييحُ الله من قلب يفيض بالفرح. فقد كان يشعُر بأنَّ فرح الخلاص يتدفقُ منه تدفقًا يعجزُ عن كبِّه. وقد قال ذات مرَّة: ”لا أنكرُ أنني أرقصُ أحيانًا. وهل هناك ما يمتنعني من أن أرقصَ كما رقصَ داود؟ قد تقولون إنَّ داود كان ملكًا. حسنًا، مباركُ الربِّ! وأنا ابنُ الملك! لذلك، فأنا أملكُ الحقَّ نفسه في أن أرقصَ كما رقصَ داود. مباركُ الربِّ! ففي كثير من الأحيان أشعر بفرحٍ عظيم حين يملأ حضورَ الله كياني؛ وهذا يدفعني أنا أيضًا إلى الرقص!“<sup>٢</sup>

من الجليِّ أنَّ الفرَح كان في نظر بيلي براي سمةً رئيسيَّةً للحياة المسيحيَّة. ورغم أنَّ العمل في المناجم كان محفوفًا بالخطر؛ وأنَّ احتماليَّة الموت في جوف المنجم كانت قائمةً في كلِّ الأوقات، فإنَّه كان يقول لرُفقائه العاملين إنه ينبغي لهم أن يصلُّوا قبل نزولهم إلى المنجم. وحين كانوا يطلبون منه أن يصلِّي، كان يصلِّي قائلاً: ”يا ربُّ، إن كان لا بدُّ من موت شخص ما اليوم، فليكن هذا الشخصُ أنا. أرجوك ألاً تسمَح لأبي من هؤلاء الرجال أن يموتَ لأنهم لم يختبروا الفرَح بعد. أمَّا أنا فاختبرته، وإن متُّ اليوم فسأذهبُ إلى السماء“. وقد قال بيلي: ”عندما

كُنْتُ أَخْتِمُ صَلَاتِي وَأَنْهَضُ وَأَقِفُ، كُنْتُ أَرَى الدُّمُوعَ وَهِيَ تَنْهَمِرُ عَلَيَّ وَجُوهَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، صَارَ البَعْضُ مِنْهُمْ رِجَالًا صَالَةً أَيْضًا<sup>٣</sup>. وَهَكَذَا، مِنَ السَّهْلِ عَلَيْنَا أَنْ نَنْشَغَلَ بِالأُمُورِ اللّاهُوتِيَّةِ العُويصَةِ وَأَنْ نَنْسَى فِرْحَ الخِلاصِ الَّذِي تَحَدَّثَ بِشأنِهِ كَلِمَةُ اللَّهِ.

## الدَّعْوَةُ إِلَى الأَلَمِ

سَنَقْضِي وَقْتًا لَا بِأَسْ بِه فِي هَذَا الكِتَابِ فِي التَّأَمُّلِ فِي النُّصُوصِ الَّتِي تُقَدِّمُ الدَّعْوَةَ إِلَى الأَلَمِ وَالْمَعَانَاةِ. وَالأَوْضَحُ - بِبِساطَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ - أَنَّ هَذَا أَيْضًا هُوَ جَانِبٌ أُسَاسِيٌّ مِنْ جَوَانِبِ الحَيَاةِ المَسِيحِيَّةِ. فَقَدْ كَانَتْ دَعْوَةُ يَسُوعَ الجُوهريَّةِ لِاتِّبَاعِهِ هِيَ دَعْوَةٌ لِلأَلَمِ أَيْضًا: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي" (مَتَّى ١٦: ٢٤). وَعِنْدَمَا نَطَقَ يَسُوعُ بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ، مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ سَامِعِيهِ عَرَفُوا أَنَّهُ كَانَ يَتَحَدَّثُ بِشأنِ الأَمِ مُبَرِّحَةً لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِرَايَةٍ بِأَنَّ الصَّلْبَ كَانَ وَسِيلَةً قَاسِيَةً وَمُؤَلَّةً لِلإِعْدَامِ. وَقَدْ قَالَ لَنَا يَسُوعُ: "فِي العَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ" (يُوحَنَّا ١٦: ٣٣). كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ بُولُسَ قَالَ: "وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي المَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهُدُونَ" (٢ تِيموثَاوَس ٣: ١٢).

لَمْ يَكُنْ يَسُوعُ يُرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَتَّبِعُوهُ دُونَ أَنْ يَحْسِبُوا نَفَقَةَ اتِّبَاعِهِمْ لَهُ. لِذَلِكَ، فَقَدْ رَاعَى دَوْمًا ذَكَرَ ثَمَنَ تَبَعِيَّتِهِ فِي دَعْوَتِهِ الأُسَاسِيَّةِ إِلَى التَّلْمُذَةِ. وَعِنْدَمَا كَانَ البَعْضُ يَتَطَوَّعُونَ لِاتِّبَاعِهِ، كَانَ يُطَلِّعُهُمْ عَلَى تَكْلُفَةِ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ تَذْكِيرِهِمْ بِمُؤَاطِنِ الضَّعْفِ لَدَيْهِمْ (لُوقَا ٩: ٥٧-٦٢). وَرَغْمَ أَنَّ إِنجِيلَ لُوقَا لَا يُطَلِّعُنَا عَلَى قَرَارَاتِ الأَشْخَاصِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَطَوَّعُوا لِاتِّبَاعِ يَسُوعَ فِي هَذَا المَقْطَعِ الكِتَابِيِّ، فَإِنَّ مِنَ المَرَجِّحِ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوهُ. كَذَلِكَ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ يَقِينًا أَنَّ الشَّابَّ الغَنِيِّ لَمْ يَتَّبِعْ يَسُوعَ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ كَلْفَةَ اتِّبَاعِهِ هِيَ فَوْقَ اسْتِعْدَادِهِ (مَتَّى ١٩: ١٦-٢٢). وَبِمُكْنُنَا أَنَّ نَرَى فِي هَذَيْنِ المَقْطَعَيْنِ الكِتَابِيِّينِ أَنَّ النِّهَجَ الكِرَازِيِّ الَّذِي اتَّبَعَهُ يَسُوعُ يَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا جَدْرِيًّا عَنِ الكَثِيرِ مِنَ الأَسَالِيبِ الكِرَازِيَّةِ المَعَاصِرَةِ.

## عنصران متلازمان

من الأمور المدهشة بشأن العهد الجديد هو أن المعاناة لا تردّ - في أغلب الأحيان - دون ذكر البركات المصاحبة لها. وغالبًا ما تكون البركة الرئيسية المرافقة للألم هي الفرح. وقد تمكّنت من العثور على ثمانية عشر موضعًا في العهد الجديد وردت فيه كلمتا الألم والفرح معًا. أمّا المواضع التي عثرتُ فيها على تلك الآيات التي تُبين الصلة بين الألم والفرح فهي: الأنجيل، وأعمال الرسل، والرسائل. علاوةً على ذلك، فنحن نعلم أنه رغم أن سفر الرؤيا لا يذكر هذه الصلة صراحةً، فإنها متضمنة فيه.

وهكذا، في ضوء ما يُعلمه الكتاب المقدس، يُمكن للفرح والألم أن يوجدًا معًا. لذلك، يجب على المؤمنين ألا يتكلّموا بشأن الألم ما لم يتكلّموا أيضًا بشأن الفرح المصاحب له. فالفرح هو الذي يجعل الصليب جديرًا بالمعاناة لأنه (أي الفرح) هو الذي يُعطينا القدرة على احتمال الألم. وكما قال نحميا: "لأن فرح الرب هو قوتكم" (نحميا ٨: ١٠).

ذات مرة، سمعتُ "ديفيد سيتون" (David Sitton)، مؤسس الهيئة الإرسالية المعروفة باسم "إلى كل قبيلة" (To Every Tribe Mission)، يقول إنه عندما كان في سن المراهقة، سمعَ مرسلاً في التسعين من عمره يتحدث في اجتماع للشباب في كنيسته. عندما بدأ ذلك المرسَل حديثه، ظلَّ يُردّد الجملة نفسها مرّة تلو الأخرى قائلاً: "أريدكم أن تتذكروا هذا. لا بأس أن تنسوا كل شيءٍ آخر، لكن لا تنسوا هذا". وقد ظلَّ يُردّد هذه الجملة لمدة خمس دقائق تقريباً حتى إن الشباب ضجروا وتمنوا لو أنه ينطق بذلك الشيء. وأخيراً، نطق المرسَل بذلك الشيء قائلاً: "فرح الرب هو قوتكم. فإن تلاشى الفرح، تلاشت القوة". وبعد أن نطق بتلك الكلمات، رجع إلى مكانه وجلس!

وهذه هي الفكرة الرئيسية التي يُركز عليها هذا الكتاب. فالفرح والألم سِمَتان رئيسيتان للحياة المسيحية. فوجودهما معًا هو أمرٌ وارد؛ بل حتميٌّ أيضاً!